Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولاسيما إذا التقط أدق الجزئيات اليومية العابرة والمعبّرة، إلى جانب أعظم الكليات الواسمة والمؤثّرة. وكم يعجبني ماقاله (توينبي) وفحواه: ((ما أجمل أن يكون لنا عين الطائر التي ترى الكلّ من عل، وعين الدودة التي ترى أدقّ الأشياء وأصغر الجزئيات)). ولعلّ طموحنا لأن نجد التاريخ حيّاً في الأعمال الفنية، كما يصنعه الناس في نشاطهم السياسي والحربي والاجتماعي اليومي، له مايسوّغه.

نعم، طالَعَتْنا في رواية ((شفق على الزمن العربي)) إشارات هنا أو هناك، إلى بعض المواقف السياسية التي سبقت الهزيمة الحزيرانية، ولمّالعتنا ملامح شخصيات، لها رموزها غير القصيّة، وبعض الأحداث التي أسهمت في استذكار الماضي وصلته بالحاضر. ولكن تلك الإشارات وهذه الشخصيات وتلك الأحداث لم تُؤَدِّ الأمر المرجوّ منها... فقد أشار الكاتب على لسان (إياد) إلى أن سرّ انهزامنا في تخلّفنا -(ص٥٩). وأشار كما ذكرت إلى قول أبي حميد ((الأمة العربية كلها مسؤولة عن الهزيمة)) وألمّ، على عجل، بصورة لصديق (لباسل) اسمه (نادر) تخلّى عن الالتزام، واغتنى بغير وجه حق، وهجر ساحة النضال، وغادر دنيا القِيَم، ليعبّ من ملذات الحياة، فصار ((إنسانَ عيشٍ لا إنسان قضية))، وكذلك رمز الروائي إلى موت الحلم البكر، وأراد به ((الوحدة العربية)) من خلال موت من آمن بها، وهو (جميل سعيد)) -(ص٢٢).

بيْدَ أنّ مكثاً أطول وأعمقٍ عند هذه الرموز، وتلك الإشارات، في ضوء تقنيات روائية محكمة، كان يغني الرواية ويجعلها أكثر ثراء وإقناعاً لقارئها، ولكن الكاتب لم يكد يمسّ تلك الأشياء مسّاً رفيقاً، حتّى غادرها دون ريث، تاركاً للأفكار أن تبقى أفكاراً سابحة في عالم مجرد، تلوب على كائنات حيّة، لتتجسّد فيها، فتخلد كما خلدت شخصيات روائية في روايات عربية وأجنبية مختلفة....

ورغم ماتقدم، فنحن إزاء روايه اجتهدت أن تنقل، رغم تضحيتها ببعض المسائل الفنية، إلى الأجيال اللاحقة، استعداد الفداء عند أمتنا، وصرخة الكرامة في أبنائها، وأن تربط أجواء الفداء بعد حزيران، بأجواء الحرب في تشرين. في ضفيرة جدلت خيوطها لغةٌ رفيعة دالّة على براعة وتميّز في خلق المجاز ورسم الصور، نادرَيْن، ودالة على إيمان عميق صادق بأمّة لها تاريخها المجيد- أمة تؤمن ((بالمنيّة ولا الدنية)) وتقدر على تغيير مسار الهزيمة لتصنع فجراً عربياً جديداً ننعم بشمسه جميعاً رواةً ونقاداً وقرّاءَ أدب.

OO